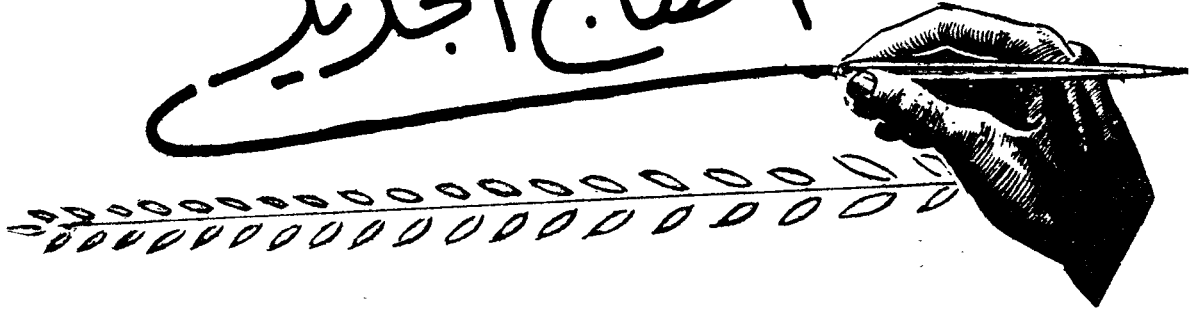


# النتائج الجديدة



## ذكريات مشاهير المغرب

تأليف : عبد الله كنون

\*\*\*

ما يزال المغرب العربي الكبير يزحف في قوة دافقة لتعويض ما فاته طوال السنوات الماضية في ظل النفوذ الاجنبي ، وليستعيد مكانه مع جناح المشرق العربي في عالم الفكر والادب والثقافة على نحو واضح حقا ، مشير حقا ، فالمطابع في القاهرة وبيروت وتونس والرباط وطرابلس والجزائر مشغولة دائما في هذه الايام بهذا النتاج الثري القوي، واسماء عبد الله كنون ومحمد علي ديبوز وابو القاسم كرو وعلي المراتي في الاقطار الاربعة : المغرب والجزائر وتونس وليبيا ، وعشرات اخرى من الاسماء تلمع وتزداد قوة ، ولا تتوقف عن تقديم الجديد في مجال الكشف عن التراث القديم ، والان الخفي ، وتحليل جوانب التاريخ ، وابرار مجد الامة ورسم صور للبطولات العربية الاسلامية التي برزت خلال العصور ، وتغطية جوانب النقص في مجالات الفكر والتاريخ والادب على نحو يلفت النظر حقا ، ويستدعي التقدير والاعجاب ، ويفرض على الباحث الناقد ان يرقب الظاهرة الجديدة لدرسها والمضي معها ، ولست حين اذكر هؤلاء الاعلام الاربعة ، افق عندهم ، ففي هذه الاقطار اعلام كثيرون وكتاب ونقاد ومؤرخون ، ولكني اجد في هؤلاء العمل المتصل بحيث لا تنسى اسمائهم ، وبحيث يتجدد الكلام دائما عن اثارهم ، وبما يمثلونه من طابع واضح الاتجاه نحو الكشف عن الجوانب الفاضلة وابرار الزوايا المجهولة واحياء القطاعات التي طال عليها الامد .

...

والاستاذ العلامة « عبد الله كنون » اسم لامع في المشرق والمغرب جميعا ، وله في المشرق مكانة كبرى فقد طوف به واتصل بمعاهده واعلامه ومفكره ، وانتسب الى مجتمعه العظيمين في دمشق والقاهرة ، وطبع مؤلفاته في بيروت ، وهو ما يزال منذ اكثر من ثلاثين عاما يسهم مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية على نحو رصين قوامه الفهم الصادق والتقدير العميق لقضايا الاحياء والترجمة والنقل والافتباس من الفكر الانساني على قاعدة مبسطة ثابتة من الثقافة العربية الاساسية ، ومع ايمان كامل بشخصيتنا اساسا وبكل مقوماتها ، ولعل هذا « الوجه الاول » الذي التقينا معه على صفحات الرسالة منذ عشرين عاما ، يكشف لنا تراث المغرب واقطاره واعلامه ولم يحل النفوذ الاجنبي يومها دون ان يكتب وينشر وتصدر كتبه ، ويوالي عمله في مجالات واسعة ، مواجهها مختلف التحديات ، في وقت كان النفوذ الاجنبي يصنع بيننا وبين هذا الجزء من امتنا العربية سناارا كثيفا ، فكانت ابحاثه اندارا كاشفة وكان ارتباط ( طنجة ) بالقاهرة عن طريق ( الرسالة ) جزء من الدعوة العربية للوحدة والعربية . ولعله بهذا يسجل فضل سبق فسي عملية ربط المغرب بالشرق وتعريف المشرق الى المغرب سائرا في ذلك على هدى

صفوة من الابرار عبد العزيز الثعالبي ومحمد بيرم الخامس وعلال الفاسي والبشير الابراهيمي .

وهو يرى ان رسالة الادب العربي رسالة خالدة يجب ان لا تقتصر على الاغراض اللغوية ولا على المتعة الذهنية ولا على المعاني الذاتية ، التي لا يشعر بها الا الاديب المتكلم عن نفسه . ومهمته الهدم والبناء والعمل الجماعي المؤدي الى الفاية وغايته فتح الاذان الصم والاعين العمى والقلوب الغلف وقد وجه نفسه منذ شبابه الى ميادين ثلاثة :  
اولا : التمهيد والتمكين للغة الضاد وادابها خشية ان تجرفها الرطانات الاجنبية .

ثانيا : الكشف عن ذخائر التراث القديم من اداب وعلوم وجوانب باهرة ويتمثل ذلك في كتابه « النبوغ المغربي » .  
ثالثا : دراسة اعلام المغرب الذين كانوا ذوي اثر باهر في الحضارة العربية .

وفي هذا المجال الاخير يبدو عمله الكبير الذي تقدمه اليوم (ذكريات مشاهير رجال المغرب ) وهي حلقات صغيرة منفصلة يتناول كل منها شخصية ، وقد اصدر منه ٢٥ جزءا ثم توقف خمس سنوات وعاد في العام الماضي الى اصدار اجزاء جديدة في طباعة بيروت الانيقة . وقد تناولت هذه الدراسات من المعروفين في المشرق امثال : الشريف الادريسي وابن بطوطة ومن الذين نتعرف اليهم امثال عبد العزيز القشمتالي وابو القاسم الزياتي ومحمد بن ادريس ومحمد السنوسي وبو جعفر بن عطية وابو العباس الجراذي وميمون الخطابي، ومالك بن المرحل، وعبد العزيز المزوزي والامير سليمان الموحد ، وعثمان السلاجي وابن غازي وابن زاكور وابن الطبيب العلمي وابن الونان وابو عبدوس الكناس ، وابو بكر ابن شيرين وابن رشيد وابو موسى الجزولي وابن جروم وابو القاسم الشريف وابو الحاج الفاسي واحمد زروق وعبد المهين الحضرمي وابو العباس العزفي ..

ولهؤلاء الاعلام تاريخ باهر وعمل كبير في حياة المغرب الثقافية والحضارية .. وقد كانت اسمائهم مدفونة في الاصابير ، اولا يعرف عنهم الناس الا القليل فاراد « كنون » ان يذيعهم ويطلع الناس على فضلهم كجزء من خطة ضخمة في سبيل الاحياء الادبي والثقافي للتراث العربي الاسلامي .

وقد وصف هذه الشخصيات بانها « الشخصيات التي كان لها اثر محسوس في هذا الصراع الحيوي والتي فازت باكليل الفسار فبقي ذكرها محفوظا في الدفاتر وان محي من صدور الناس الا قليلا من قليل » وتعتبر هذه الدراسات تكملة لعمله في كتاب النبوغ المغربي، الذي قدم فيه طائفة من اعلام الادب المغربي العربي يقول « وبعد كتابة (النبوغ) بقيت في النفس حاجات متعلقة بتراجم الاشخاص المذكورين فيه، خصوصا المشهورين منهم والذين يوحى تتبع تراجمهم بمعاني من السمو النفسي والفخر الادبي » .

وهو لا يعد هذه الدراسة القصيرة تراجم علمية لهؤلاء الاشخاص

الدراسات الادبية . وله كتاب ( التحقيقات ) الذي اعلن عنه منذ وقت طويل ولم يصدر بعد وقد درس فيه مجموعة اخرى من اعلام المغرب غير التي قدمها في كتابه الضخم ( النبوغ ) وموسوعة الذكريات . والامل ان يصدر قريبا ليستكمل حلقة هذا العمل الكبير النافع .  
القاهرة  
انور الجندي



## معنى الوجودية

★★★

هذا عنوان لكتاب من منشورات « دار الحياة » في بيروت ، ومما يؤسف له ان دار النشر الموقرة اغفلت ذكر اسم المؤلف على اهمية هذا الموضوع .

في هذا الكتاب حاول المؤلف ان يعطي فكرة - ارادها واضحف عن مدرس الفكر الانساني الوجودي ، وخاصة الوجودية المؤمنة ويمثلها كارل جاسبرز ، وغبريال مرسيل ، والوجودية المحددة ويمثلها جان-بول سارتر وميرلو بونتي .

ونحن لسنا بصدد نقد الكتاب كاملا ، وانما فقط سنحاول مناقشة الكاتب المجهول في انتقاده « واقعية الانسانية الوجودية » وتايينا « معقولية هذه الانسانية وتسلسلها المنطقي » ، وقد قال بالحرف الواحد ما يلي : « لقد اراد بها بناتها ان تكون نقطة انطلاق لانسانية متفوقة ، ذات وجود مستمد من ذاتها ، قادرة على ان تحيا بانصارها حياة قوية صحيحة . ناعلت ان الانسان سيد مصره ، وانه قادر على خلق ذاته وحيدا مستقلا عن الاخرين ، يختار هذه الذات في حرية تامة ، دون ان يستهدي اية قوى في طريقه ، او يعتمد مقاييس موضوعة له » .

واي شيء هناك في ارادة بناء الحركة الوجودية ان تكون حركتهم نقطة انطلاق لانسانية متفوقة ؟ طبعاً لا شيء هناك ابداً . وانا ارى ان ارادتهم هذه اول خطوة في تطبيق الفكرة الوجودية ، التي تعبر عنها سيمون دو بوفوار بقولها اريد ان يكون لفكرتي مؤيدون لها ومتبنون يسعون لتحقيقها وتطويرها كأنها فكرتهم الخاصة .

وارادة الوجوديين هذه عدا عن كونها واقعية ، فهي نتيجة منطقية لوجود « الفكرة الوجودية » .

اما ان تكون الانسانية ذات وجود مستمد من ذاتها ، فذلك يخالف ما اورده الكاتب المجهول في الكتاب نفسه الذي اعتمد سارتر فيما يظهر مرجعاً اولاً ، وفيه يقول سارتر عن الله : « هناك تناقض ضمني في الفكرة التي تقول بوجود كائن يستمد وجوده من نفسه » فكيف يمكن لسارتر ان لا يقبل هذه الفكرة بالنسبة لله ، ويتهمها بالتناقض ، بينما يقبلها بالنسبة للانسان ؟ وانا من مطالعتي لما اورده الكاتب المجهول نفسه نقلاً عن مؤلف سارتر الوجود والعدم ، لم اتوصل الى هذه النتيجة التي وصل اليها الكاتب المجهول ، بل رأيت ان الوجودية لا تبحث ابداً في اصل الوجود ، وانما تسعى للاحساس الحقيقي بهذا الوجود، وذلك بالاتصال مع الاخرين .

واما عن اعلان الوجودية بان الانسان سيد مصيره ، فلي تفسير لكلمة المصير بخلاف عن التفسير الشاع ، وعلى ما اعتقد هو المصير الذي اراده الوجوديون ، وهو على الشكل التالي : بما ان امامي إمكانات عديدة قابلة للتحقيق ، وانا غير قادر على تحقيقها جميعها ، فلا محيص لي عن الاختيار بين هذه المكنات ، وانا حينما اختار فانا اختار مصري ، وفي رأيي ان في كل اختيار يتحدد مصير جديد لي ، وبما انني انا السذي اختار فانا فانا سيد مصري في تلك اللحظة .

واما قول الكاتب المجهول بان الوجودي قادر على خلق ذاته وحيدا مستقلا عن الاخرين ، فهذا قول ظالم لان الوجودي كما ذكرت يعتقد بأنه لا وجود له ما لم يوجد الاخر ، وقد قالت سيمون دو بوفوار في كتابها

فائمة على التحليل ومستوفية الاغراض الواجبة « لان المصادر تعوزنا كثيرا ، وما جمعنا من الاخبار والاثار على كونه اكثر مما جمعه اي ديوان عن هؤلاء الافراد ومنهم من لم يكن احد يعرف انه مغربي اصلا ، وانه لا يكفي لكتابة حياة Biografia لواحد منهم ، ولهذا دعونا الكتاب ( ذكريات مشهوري المغرب ) ولم ندعه ( تراجم ) » على سلاسة العبارة وطلاوة الاسلوب وحرارة النكتة واستشارة روح الاعجاب مع الامانة والصدق وعدم الغلو في مدح او تقدير شيء من الاشياء وهذه ( الذكريات ) طبقات مختلفة : منها اهل الادب ورجال العلم والسياسة ، وقد رتب اسماءها على العصور ثم على التقديمية ، وتناول فيه اشهر المشهورين والشهرة عنده هي « شهرة المرء في عصره بالصفة التي ميزته عن غيره لا شهرته عندنا . فقد يكون الشخص غير معروف عندنا بالارة ونذكره ، وبالعقد قد يكون مشهوراً لدينا ولا يستحق الذكر هنا لخالق اوازين بي عصرنا عنها في العصور السابقة ، بسبب ضعف ملكة النقد ومرض اللذوق وعود الناس عن التحصيل » . ولا شك ان هذه الموسوعة جديرة بالتقدير حقاً ككل اعمال السيد عبد الله كنون هذه الاعمال التي نالت تقدير المنصفين وكبار المفكرين ، واية ذلك رأي امير البيان شكيب ارسلان حين قال عن كتابه النبوغ « كنت اعهد نفسي من المشاركة الرجل الذي اطلع اكثر من غيره على تاريخ المغرب واهله ، وانعم النظر فيما يتعلق بثقافته وسياسته وسائر شؤونه ، ولكنني رأيت نفسي بعد ان طالعت هذا الكتاب كاني لم اعلم عن المغرب قليلاً ولا كثيراً ، وكنت اقول ان من لم يطلع على هذا الكتاب لا حق له ان يدعي في تاريخ المغرب الادبي علماً ولا ان يصدر في حركاه الفكرية حكماً » .

وعبد الله كنون مؤمن ايماناً صادف بالامة العربية وبالمغرب وكفاحه « كأحد الشعوب العربية الاسلامية التي اثلت مجداً وحضارة وضربت بسهم وافر فائز في ميدان العلم والسياسة ثم تعدت به الجدود العواثر في مجاراة الاحياء وسنن الكون فوجب تنبيهه الى ما كان له من عز وكمال ونفخ روح الحفاظ والحمية فيه . وقد بذل المغرب جهداً في سبيل اثبات شخصيته والمحافظة على كيانه امام المؤثرات القوية التي حاولت مراراً ان تمحوه من صحيفة الوجود . . »

ويحدث عبد الله كنون عن تطور فكره فيقول انه لا يستنكف ان يصرح بانه - اي نفسه - احد اعدادا ليكون من الفقهاء الذين يحكمون ويفتون ، ولذلك فهو قد جعل من قول شعبه نبراساً له « كل علم ليس فيه حدتنا واخبرنا فهو خل وبقل » يقول « ما عالجناه منذ فجر النهضة التعليمية بهذا الوطن العزيز من ( التمهيد ) والتمكين ل لغة الضاد وادابها خشية ان تجرفها الرطانات الاجنبية المختلفة ، واسجل ان دراساتي الفقهية والحديثية تد افادتني كثيراً من الناحية الادبية ، واني لاحظت ماخذ كثيرة على اثار بعض الادباء ، نما جاءتهم من عدم امامهم بشيء من تلك الدراسات » .

وهو من المؤمنين باللغة العربية « التي تتسع اليوم لكل الافكار الحديثة من فلسفية واجتماعية وعلمية وفنية تؤديها بكل وضوح » وقد تأثر بكتابات عبد الحميد بن باديس التي وصفها بانها « كان لها كبير الاثر في توجيهي واثارة انطريقي امامي الى كثير من الخير » ويرى ان مؤلفات محمد عبده وفريد وجدي ورشيد رضا ومصطفى الفلاييسي ورفيق العظم وكرد علي كان لها نفس الاثر .

وقد وجه نفسه منذ مطلع شبابه الى دراسة الجوانب الفاضلة والمهملة من تاريخ الاندلس والمغرب وتحليل الشخصيات التي كان لها اثر واضح في ادب المغرب ، كما اهتم بالابحاث اللغوية والعامية المغربية وجامعة القرويين ، وكتب عن اثر محمد عبده والكواكبي ، واحمد زكي باشا والرافعي والتنبيي ، كما كتب عن تحرير المرأة ودعا الى تعليمها ، وعني بالنصحيحات اللغوية واحياء الكلمات وتحقيق الوقائع التاريخية كما تحدث عن المخطوطات العربية والكتب النسوية لغير اصحابها .

وبالجمل فان فضل عبد الله كنون على الادب العربي المعاصر واضح جلي ، وان اعماله الادبية والفكرية : ( خل وبقل ، التعاشيب ، واحة الفكر ) وهي مجموعة من المقالات المنوعة تناولت عدداً من

## اعیاد

### مجموعة قصص لعبد الله نيازي

مشتورات دار الاداب - بيروت



(( اعياد )) مجموعة قصصية للزميل عبد الله نيازي ، لا يستطيع انقول بانها تحمل طبعاً خاصاً على وجه التحقيق والتأكيد ، ولكن الذي لا شك فيه انها تنزع نزوعاً انسانياً . فالاخ نيازي لم يهدر وقته ليكتب عن وسادة خالية او عن قلب يطالب برده ، ولم يكتب عن لحظات غرام مراهقة ، ولم يكتب عن حوادث يومية فجاجية ، وانما هو اختار لاعياده مواضيع يحسها نثر كبير من الناس ، ولم يفعل ذلك تصنعاً او تكلفاً ، لانه يعيش عصره حقاً ويكتب وهو يتفاعل معه تفاعلاً ايجابياً لا سلبياً يؤدي به الى الانفعال والتفوق ، انه يفتتح على العالم ، عالمنا الكبير هذا بالرغم من ان نفسه مدمنة بجروح صنعها الحياة بكل قسوة وضراوة .

فد يحيل للمرء ان هول المصائب وعظم التكبث لا بد ان يلد شراً وحقداً اسود يصصف بكل القيم ويغني تدمير الكون واهلاك الحرث والنسل اطفاء للحقد واخماداً للكراهية المتأججة ، غير ان ذلك الظن يتهاوى لان انفس المحضنة ليدرة غير واحدة تطفح خيراً بعد ان تصهرها الالام وتحلص جوهرها من الشوائب الدنيوية اللاصقة بالتافه من الامور ، فتبدأ بالسمو ، وهي في سموها لا تحلق في خيال ولا تبعد عن واقع ، بل انها تنزع الى سمو متساوق مع جوهر الطبيعة الانسانية الاصيل .

وبعد ادرك اخ نيازي مهمته ووعى نفسه في هذا الوجود فهو يصرح في المقدمة بوعيه للشقاء الانساني الذي يعم البشرية ويعترف بانها لا يجد ابهوء ولا ينعم بالطمأنينة ان هو لم يلتهب بنلك النار المنضمة مسع الاخرين .. وهدداً مسمى القاص في قصصه ، تسيير كلها في خط واحد، سبحت في خبايا النفس الانسانية لتفصح عن الاصابة الخيرة بعد ان سقطت الصفات الطارئة عليها ، تفعل ذلك في خضم متلاطم من المشاعر والافكار والحركات والمناظر الجانبية ، اشياء صغيرة واخرى كبيرة وهناك المضحك والمبني .. تلك اشياء يقف القاص باصائلته الصادقة ويترصده بيقظة ويرقب وينامل ويتحرى ويحلل الحياة من حوله بصبر واناة وقوة، انه يغني وقت السحر شأنه شأن الكنار وهو في الوقت ذاته صرخة مدوية تنعقب الظلم انى وجد ، هو مختبر دقيق للنفس البشرية ومبضع لا يرحم عند الضرورة .

وهناك خط آخر واضح في مجموعة (( اعياد )) والمقدمة التي كتبها صاحبها تلقي الضوء على ذلك الخط ، فصاحب المجموعة يتنزه في مسي مقدمته ، القلق يمضغه ليل نهار ، ولكنه ليس قلقاً صافياً ، بل هو مشوب بالخوف .. الخوف من ماذا ؟؟ .. ان اشياء كثيرة تخيف صاحب المجموعة ، اشياء كثيرة نملا نهاره بالالام الممض والفرع العيق وتحيل ليله اشباحاً كريهة المنظر تبعده عنه اللوم (انه الان يظل يقظاً اغلب لياليه، لانه يعتبر النوم نقيصة لا تليق بحياة الفنان كما كان يحسبه باسترناك، ولكن لانه لم يعد يعرف متى يهتز الجبل وتندق الاجراس فتندفق الدماء .. ) نعم انه ( لم يعد يعرف متى ؟ ) هذا التوقع المبهم لا يثير القلق فقط .. بل انه يثير الخوف ، لان ( متى ) اذا تحققت فسوف تندفق الدماء ..

ثم هاك المحاولة المستمرة القاسية للموازنة بين (( مودي وسين متطلبات الحياة الضرورية لزوجة واطفال .. والخوف من المستقبل المرعب .. )) ثم هاك (( اكف مملوءة ابداً بقيق عفن وممدودة ابداً لتلوين برعم يتحرق للفتيح )) و (( اغلال غليظة تنتصب امامي كالقدر المحتوم .. )) كل هذه الاعترافات الخائفة المرتدة ترد في مقدمة اعياد .. ثم تنتقل بشكل لا شعوري الى ابطال القصة فاذا هي واضحة في تصرفاتها كلها ، بل ان الخوف يكاد يكون الطابع المميز لقصص المجموعة ، نستدل عليه بالسلبية ، وبالتمرد الذي لا يتجاوز حدود النفس ، بالاضطراب الذي يجيش في نفس القاص ويظل يعذبه ويتفنن في تعذيبه والقاص

(( بيروس وسنياس )) انا احس انني احقق وجودي عندما يفسح لسي الاخرون مكاناً بينهم . ولكنهم لن يستطيعوا ان يفسحوا لي هذا المكان ما لم اجعل في حياتي وحولي مكاناً لهم . فاين هذا القول من ادعاء الكاتب المجهول القائل بان الوجودي قادر على خلق ذاته وحيدا مستقلاً عن الاخرين ؟

وبناء على ما اسلفت ارى ان بقية العبارة التي يتابع فيها الكاتب المجهول اتهامه للوجوديين بالانانية المفرقة ، والغرور المفرط مردودة لما بينت من عمق اتصال الوجوديين بالآخرين .

هذا وقد اورد الكاتب المجهول العبارة التالية : (( وقد اثبتت الظروف التاريخية التي مرت بها هذه الوجودية ان الذين اعتنقوها وآمنوا بها وانتصروا لها ، قد تردوا في الابتذال وسقطوا في مهايوي اليأس الصغير ، واللامبالاة الجبانة التي تخاف مسؤولية البناء ، فاكتفت بتحمل مسؤولية اللامسؤولية )) .

اعتقد ان الوجودية التي حاول الكاتب المجهول بسطها في كتابه (( معنى الوجودية )) هي وجودية سارتر بالدرجة الاولى ، ومن ثم تطرق للوجودية المسيحية ، كما ان نقده بصورة خاصة ، كان موجهاً لوجودية سارتر ، لذلك كان من الاجدر عند اطلاق حكم كهذا ان يحصر الحكم في سارتر واتباعه ، ان كان يشملهم ، والا يفحم فيه الوجوديين منذ عرف التاريخ الوجودية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، اننا لم نعرف عن سارتر الا ما هو مشرف للانسانية جمعاء لا له وحده ، ويكفي انه قواد حركة المفكرين الاحرار في فرنسا ضد الاستعمار ، هذا عدداً عن نضاله على صفحات مجلة (( الازمنة الحديثة )) في سبيل حرية الانسان ، بالإضافة الى زجه في ظلمات السجن لما كان من دفاعه عن الفكرة الحرة ، فاين الوجودية التي يمثلها سارتر والتي قصدها الكاتب المجهول في نقده ؟ اين هي من مظاهر اللامبالاة الجبانة ، او مسؤولية اللامسؤولية ؟ وفي هذا ايضا على ما اعتقد دحض لزعم الكاتب في بعد الانسانية الوجودية عن الواقع لان سارتر في حياته يحاول ان يسير في سبيل الانسانية المتفوق .

سلامة العامري

دمشق

صدر حديثاً :

# أعياد

مجموعة قصص

بقلم

عبد الله نيازي

دار الاداب

٢٥٠ ق. ل

يتلوى ، حتى اذا بلغ الالم منتهاه نحس ان هناك روحا نائمة قادرة على ان تدك العجبال ولدن تلك المشاعر الثائرة سرعان ما تبرد وتخمد بحدت صغير ، حدث يناد يكون ناعها اذا ما قيس بضخامة وجسامته المشاعر المحترمة في نفس القاص . ففي قصة ( ٢٠ تشرين الثاني ) نجد ان بطل القصة يلقى خبر العدوان على بور سعيد من شخص اخر . واعتقد ان هذه السمحة السريعة تعطي مدلولاً خاصاً . فان وضع البطل على الهامش وليس في معترك الاحداث لدليل على حب السلامة والابتعاد عن المشاكل خوف منها . . يؤكد ذلك ان بطل القصة نفسه يحتاج الى من « يقوي روحه المعنوية لا سلبها » (ص٣٥) ولانه « كان قد فقد الإيمان والثقة بكل شيء » (ص١٤) . . ثم ليس ادل على الخوف من انه كان يحس او يضخم الاحساس بانه « مرصود مع كل خطوة ، مرصود للتعذيب والتنكيل والقتل » (ص٤٥) ، و « في اعماقه المجهولة شيء مخوف ومرعب » (ص٥٥) .

وعندما تزدهم المشاكل وتغص حياته بالالام نتوقع ثورة عارمة . . ثورة ترمي بالفيظ والغضب والحقد لتعود النفس الى هدونها . . ولكن البطل « يدور وسط الحجرة كالمهوس لا يدري اي شيء يفعل وقد اغلق عليه الباب » انه يريد ان يظل بمنجى عن المجتمع . . هذا القول الذي يخيفه . . ان الخوف يشله تماما . . فهو لا يدري ماذا يعمل ، بل ولا يعمل وان درى . . « ان شيئاً مجهولاً ينخسه بقسوة بالغة وباستمرار ليذكره بالعمل الذي يحتتمه عليه الواجب في هذه الفترة الفاصلة من التاريخ » (ص٤٨) غير ان الخوف يمنعه من الاتيان باي عمل . . واذا بذروة العواطف تتحول الى احلام . . « فاغمض جفنيه والحلم الخالد ينتصب امامه . كان صفا طويلا من الرجال الاشداء يدكون الارض باحديتهم القوية يزارون باناشيد . . والطائرات تنز في السماء وكان هو في المقدمة يسير بثبات وعلى كتفه الة الموت . . » نعم انه يسير في المقدمة ولكن ذلك في الحلم . . وطريقة التعميض هذه ، او احلام اليقظة لدليل على النقص الموجود . . وفي قصة « درهم » يكون شوقي خائفا ايضا ، خائفا من الباعة ومن الناس ومن الاطفال ومن صاحب الدولار . . وفي قصة « اعياد » تتضح السلبية التي اعتقد ان مبعثها الخوف ، فبالرغم من التمرد الفطري الذي كان يمور في نفس بطل القصة فانه « ما زال في مكانه لم يترحه رغم فظاعة التمرد الذي يحطمه ، ما زال في مكانه مطروحا كآية جيفة متفسخة ، لم يقع بشيء ، لم يعمل » (ص٧١) « انه ما زال في مكانه لم يترحه كاي حذاء قديم ، لم يجهد في ان يضع كل هذا التمزق والتمرد موضع التنفيذ ، انه جبان ، جبان ، الى ابعد حدود الجبن » (ص٧٢) .

وقصة « فاق » واضحة العنوان ، وهو دال على الوجع والخوف برز حتى في الاشياء اليسيرة والامور الثانوية كالذي جاء في محتوى القصة . برز حتى في الاشياء اليسيرة والامور الثانوية كالذي جاء في محتوى القصة . وفي قصة « حمه » الجمال الصغير المسكين . . كان شخصا من اهم ميزاته انه غير ذائب في المجتمع ، بل هو منكمش على نفسه ينظر الى الآخرين بحذر وتخوف ، ثم انه مستطيع للذل ، قانع بذل ، صابر بذل ، ربما تكون نفسه طافحة بالتمرد غير انه لا يجرؤ على الافصاح عنه ، فقد تجهم عليه رفاقه وظلوا يضربونه « وهو بينهم صامتا لا يجرؤ ان يمد اليهم يدا ويرتجف من الخوف » (ص١٠) . و « حسن افندي » بطل داخلي . . يملأه القرف . . يسب ويشتم ويضرب ولكن على نطاق التفكير والتخيل فقط . لقد اراد ان يفتح نافذة الباص . . وامتدت يده اليها « ولكنه عدل عن ذلك وانزل يده بسرعة كما لو ان عقربا لسعته ، فقد تجسست امامه المشاحنة التي وقعت في احد الباصات قبل ثلاثة ايام » لنفس السبب (ص١٢) . . وفي قصة « لم يكن مريضا » تبرز لنا بصورة ذلك المخمور وهو يعاني اشد المعاناة . . ان الالم تهرسه هرسا حتى يكاد يكفر . . بل ويرفع يديه ليحطم شيئاً كبيراً وقوياً . . لكن يده تنهوى لتتفرز اصابعه في لحم ساقه وهو جالس في الباص بينما « تتابع امامه سنوات عذابه كلها ، اكوام لا تحصى من الجراح الدامية ، اكاداس من التمزق المدمر ، الاف من الصور المرعبة تأطرت كلها في شكل

غول مخيف » (ص١٧) وفي قصة « الاطياف القاسية » نجد ان مشاعره كثيرا ما تنصير « عاصفة تظل تدوي وتدوي ثم تهدأ فجأة هدوء الابد » (ص٢٠٨) . ولست اعزو ذلك الهدوء المفاجيء الا الى الخوف . بعد هذا نعود لتلقي نظرة اخرى على قصص الزميل نيازي ، ولقد لاحظت ان هناك نقاط ضعف تكاد تفسد اجواء القصة او الاجواء العامة التي يحاول القاص ان ينشرها . فالقاص يلتفت الى اشياء اصغرية وصغيرة جدا ابان تحريكه للخط العام في القصة دون ان تساعد تلك الاشياء على استكمال صورة او احياء بشعور معين . ان الزميل عبد الله نيازي يملك قدرة تعبيرية جيدة ، كما انه ماهر في النقاط الصور الموحية . لكنه يفسد ذلك احيانا بمسارب جانبية وحوادث ثانوية لا علاقة لها اطلاقا بجوهر القصة ولا تعين باي شكل من الاشكال على ملء الجو بما يراد من العواطف والصور . ففي قصة « ٢٩ تشرين الثاني » مثلا نقرأ خمس صفحات فيها وصف ل « علي » وهو يستقبل الصباح الجميل والطبيعة المشرقة ثم لقاءه لصديقه « حامد » الذي كان واجما حاد التقاطيع ، ويحاول ان يتعرف على سر كآبة صديقه فيبدأ الحوار بينهما ، وعلى حوارهما بالذات تبني القصة كلها . غير ان القاص سرعان ما يقطع الحوار ويبدأ يصف لنا وقوف الباص وتجهيز الناس عليه وتعلق بعضهم بالباص ، ثم غضب الجاني لهذه الحالة وحديثه الى الركاب . . وبعد هذا كله يعود القاص الى الحوار الاول . وهو حين يتحدث عن « العم صالح » نراه يخرج بحديثه عن جوهر القصة ويستطرد الى طفولة ذلك العم وذكرياته الساخرة دون ان يكون لذلك الاستطرد اي اثر في القصة . اما في قصة « لم يكن مريضا » فقد تمكن القاص من شد القارئ اليه شدا دقيقاً . . انه يجعلك تحس بعمق ضراوة الالم حين تحيل الانسان الى كتلة هامة من اللحم الميت ، او الى دودة قدرة تدوسها الاقدام باحتقار . . وبالرغم من روعة القصة ودقة الوصف ، فان القاص لم يسلم من الخروج عن الجو المشحون بالانفعالات الى حركات ثانوية . ان القصة تدور حول شخص مدقع ، يفترس المرض ابنه وهو لا يملك لذلك دفعا ، فينطلق هائما ليعب السائل الابيض يحرق به جوفه ويخدر اعصابه ، ويحترق جوفه وتتوتر اعصابه ، اكاداس من التمزق المدمر ، اكوام لا تحصى من الجراح الدامية تأطرت كلها في شكل غول مخيف ، والعذاب يلوكه بتمهل وتلذذ . . وبدلا من ان يصرف القاص جهده لترسيخ الوان تلك الصورة الرائعة نراه يشتت الاضواء على شخص ثانوية حتى يبهت لون الشخص الرئيسي في القصة ، فهو مثلا يخرج بك عن الجو المشحون ليصف لك اهتزاز الباص كلما توقف وكلما تحرك ، كما يصف لك الخياط وهو يتأكد من احكام قفل دكانه . . والشارع الذي كان فارغا باهتت الالوان ، ثم هناك حوار الشابين الذي طغى على الجو المذهب ، فالكلمات الهازئة والحديث عن الجنس والتعليقات الساخرة كلها امور لا تنسجم مع الجو الذي اراد القاص رسميه . وللقارئ ان يرجع الى مجموعة « اعياد » فيسيدر الكثر من المواقف الثانوية او الحركات الجزئية وهي تتخلل الخطوط العامة بشكل جلي ، وسيدرك ان تلك الحركات او المناظر الفرعية لم تصف الى الصورة المطلوبة اي لون ، بل انها لا توحى بشيء يساعد على التحليق حيث تتداعي المعاني وتنتال الصور كتعب دافق . هناك ملاحظة اخرى في المجموعة الا وهي الاسلوب التقريري . فهذا الاسلوب المعتمد على النزعة الخطابية ، والذي يكشف الستر عن المعاني كلها كمشفا تاما على نقيض مع الاسلوب الحديث الذي يعتمد على الابهاء او اثاره الابهاء بلفظة او رمز معين او حركة بذاتها . وقد لا يلام صاحب المجموعة لو كان الاسلوب التقريري هو ما اتخذ طريقا للتعبير في القصص كلها . ولكن الخط بين اسلوبين متباينين في آن واحد امر يؤاخذ عليه . ففي قصة « ٢٩ تشرين الثاني » يقول واصفا الاعتداء على بور سعيد العربية : « اجل ان مصر قوية ، ما من ذلك شك ، ثم انها لن تكون وحدها . ستهب الدول العربية كلها وتقف وقفة رجل واحد وتسحق هذه الطفمة القذرة ، خصوصا وان الاردن قد طهر من عناصر الشر وان سوريا يديرها الان رجال اشداء يتفانون في العمل من اجل الوحدة . . الخ . »

وفي قصة « حسن افندي » يقول :  
 « .. فليس من العقول ابدا الا يابهاوا به » والصواب ان يقال  
 « يابهاوا له » .  
 « .. ان يتنبه الي ما تنبه هو اليه » والصواب ان يقال تنبسه  
 عليه او له .  
 هذه لمحات سريعة في مجموعة « اعياد » لا ادعي اني وفيت حق  
 ما فيها من روعة واصالة في الكشف عن المشاعر الانسانية ..

عالم رشيد السامرائي

بغداد



## قصة الايمان

بين الفلسفة والعلم والقرآن

تأليف الشيخ نديم الجسر



الذي الي كتاب فضيلة الشيخ نديم الجسر المعنون « قصة الايمان  
 بين الفلسفة والعلم والقرآن » في طبعته الثانية الصادرة عن دار الاندلس  
 في بيروت ( ٤٥٠ من الصفحات ) ، نالفتني مدفوعا للانيان عليه اذ ان  
 الموضوعات التي يطرقها وان تكن غير جديدة الا انها تظل شغل العقول  
 النيرة الشاغل على كر العصور والدهور ، وكيف لا يكون الامر كذلك  
 « والنفس الطلمة مشوقة بغيرتها الى المعرفة : تستشرف كل غيب  
 وتشرّب الى كل مجهول فتبحث عن اصل كل شيء وكنهه وسببوعلمه  
 وسره وحكمته » على حد تعبير الكتاب .

والكتاب وان هو يحمل عنوان « قصة » الا انه ليس بقصة بمعنى  
 الكلمة الفني وان حاول المؤلف ان يفرغه في قالب قصصي فاقد لاهم  
 خاصية في القصة عتبت عقدها ، ولا يقلل هذا من الامر شيئا لان غايته  
 لم تكن سكب آرائه في قالب قصصي او روائي كما يفعل كثير من فلاسفة  
 الغرب الحديثين عندما يعبرون على لسان شخصياتهم عن نوازع الفكر  
 البشري وهمومه من خلال المواقف التي يتخذونها ، وانما هدف الكتاب  
 الى اسالة موضوعاته في قالب يعيد الصجر عن القارئ في مثل هذه  
 المباحث الصعبة . ولقد وفق المؤلف احسن توفيق في اعتماده اسلوب  
 الحوار ، المعروف في التأليف الفلسفية القديمة ، والذي من شأنه ان  
 ييسر البحث ويقربه ويسهله ويترك للفكر فسحة للتأمل فيشارك القارئ  
 المؤلف في طرح الاسئلة وتلقي الاجوبة فيشرف على نهاية الكتاب غير  
 مجهد ولا متعب ، كل ذلك في تعبير انيق وجملته حلوة وسجع محبب  
 في غير تكلف .

واذا ما اردنا تعريفا بموضوع الكتاب الفيناه في صفحاته الاولى  
 مطروحا بصورة تساؤل واضح : هل العقل والايمان على طرفي نقيض ؟  
 وللاجابة على هذا السؤال يمضي بنا الشيخ الجسر في رحلة فكرية  
 مشوقة اتبع فيها التسلسل التاريخي فاذا به يعبر بنا بحور الفلسفة  
 اليونانية مستعرضا آراء اعلامها بفكر نقدي واضح يتم عن تفهم عميق  
 ودراسة مستوعبة لبنات الفكر الانساني الذي ساهم فيه اليونان  
 الاقدمون باعظم قسط . ثم يمضي بنا محدثا عن الفلاسفة المسلمين في  
 محاولتهم التوفيقية بين العقل والدين ، ملمحا الى ايمانهم بالعقل  
 الانساني القادر على ادراك وجود الله باناره في مخلوقاته واقامة الادلة  
 الصادقة على ذلك . ثم لا يكتفي الشيخ الجسر بالوقوف بنا عند هذا  
 الحد بل يدفع بالرحلة الى اقصاها فاذا به يستعرض آراء الفلاسفة  
 الغربيين الحديثين باسلوب من عرف اراءهم عن كذب وخبر افكاره عن

وذلك اسلوب قريب مما يكتب في الصحف المحلية وهو يتكرر في  
 عدة اماكن من القصة ذاتها ، وفي قصة « اعياد » وفي « لم يكن مريضا » .  
 وهناك ملاحظة اخرى تتعلق بالمحتوى في بعض القصص . فقصة  
 « درهم » مثلا تروي قصة صبي تعطيه امه درهما فيهرع راكضا الى حيث  
 يجتمع الصبيان من امثاله احتفالا بالعيد . وهناك تبرز لنا مشاعر  
 غريبة وغير واقعية ، نذا بشوقي يحرص على الدرهم حرصا كبيرا، وينظر  
 ابي الباعة وكانهم لموسى يبغون سرفة درهمه . ان المعتاد ان الصبيان  
 من امثال شوقي لا يفكرون مثل هذا التفكير .. بل هم يبسطون ايديهم كل  
 البسط لشراء ما يتفجع وما لا يتفجع . وفي قصة « اعياد » يقبض سعيد  
 على القدر بقوه حتى ينحطم بين اصابعه فتنفز شظية صفرة في راحة  
 يده ويسيل خيط من الدم ( وجعل يحلق في خيط الدم المتخثر في  
 يده ) فالدمد قد نختر اذن !! ولكن « ان الشظية ما زالت تنفرز فسي  
 راحته ، شظية صفيرة ولكنها كافية لان تجعله يتزف » والتخثر والتزف  
 في آن واحد لا يجتمعان . ثم ان في القصة تكرارا لتعبير « اليد اليميني »  
 و « اليد اليسرى » بشكل ملحوظ ومريب ..

وفي « فلق » نجد ان شخصية جاسم مهمة وغامضة ، تقرأ القصة  
 دون ان نعلم من هو جاسم ؟ هل هو ابن ، هل هو زوج ، هل هو  
 عم ، هل هو خادم ؟ غير ان هناك اشارات غير واضحة تدل على ان  
 جاسما ليس ابا ولا ابنا . فان لم يكن كذلك فما المبرر لهذا القلق الفظيع  
 الذي انتاب ام نزار عليه ؟؟

وفي قصة « حمة » وهو حمال صغير اعتاد عدنان ان يستاجرهما كلما  
 جاء السوق صباحا . وقد وجده ذات مرة وفي صباح شتاء قارس  
 نصف عار واراد ان يعود معه الى البيت ليعطيه ثوبا الا انه كان على  
 عجلة من امره ونبي اليوم الثاني لم يجد « حمة » في محله . وبالرغم  
 من ان عدنان يعلم ان حمة ربما ذهب مع احدهم يحمل له المؤونة ، بالرغم  
 من ذلك نجد ان عدنان جزم جزما فاطما بان حمة قد مات بردا ، وانه كان  
 سبب موته لانه لم يمنحه ثوبا ، قد يحق لعدنان ان يعتقد بموت حمة  
 لو انه تقيب عن السوق اياما معدودات .. اما انه يجزم باعتقاده اثر  
 غياب حمة ليوم واحد فليس امرا معقولا .

وفي « الحمامة البيضاء » نجد ان الاعرابي ظل ينظر باعجاب الى  
 حمامته البيضاء ثم اطرق خجلا من وساوس بدأت تغزو فكره .. وبعد  
 هذه الاقدر نفقز الى ذهنه صورة خديجة بنهديها الناقرين وقوامها  
 اللدن ، ثم يتذكر الصعوبات القائمة في وجهه زواجه منها . ربما يكون  
 من الطبيعي ان تنطلق افكار الاعرابي الى خديجة اولا حتى اذا ثارت  
 الفريضة العمياء او الحرمان القاسي هو الدافع لمثل هذا العمل دون ان  
 يتملأها .. والقاص حين يريد ان يلفتنا الى نظرة الاعرابي الى حمامته  
 يقول « وحد نظره اليها ، وخيل اليه انه يراها لأول مرة ، فهو لا يذكر  
 انه شاهد فيها هذا القوام الجميل وهذا البياض الناصع وهذه الرشاقة  
 العظيمة » ولا اظن ان مثل تلك النظرة تنطبق مع الواقع . وقد تكون  
 غرائزه العمياء او الحرمان القاسي هو الدافع لمثل هذا العمل دون ان  
 يكون هناك اي حس بالجمال او اعجاب بالرشاقة .

الملاحظة الاخيرة التي اود ايرادها تتعلق بهفوات لغوية صغيرة :  
 ففي قصة « فلق » قال :

« ظلت ترتجف وهي تنصت الى شيء يخربش دولابها مسن  
 الداخل .. » فقد قصد المؤلف من « خربش » احداث اصوات خفيفة  
 عابثة ، وهذا المعنى عامي و « خربش » في الفصحى بمعنى افسد ..

وفي قصة « حمة » يقول :  
 « الا انه تفاعل ان يقطع ثانية كل تلك المسافة التي تزيد على  
 خمس عشرة دقيقة » فقد قصد المؤلف من « تفاعل » التماسك وهو معنى  
 عامي . و « تفاعل » في الفصحى بمعنى زاد ثقله وبطوت حركته ..  
 ويقول :

« .. واسنانه التي كانت ترتطم ببعضها » ولقطة « يرتطم » لانائي  
 بمعنى اصطك مطلقا .

عمق ، فاصحى بوسعه أن ينقل إلى القارئ هذه الآراء والأفكار بسهولة ما بعدها سهولة ، فإذا بالتراث الفكري الإنساني وقد بسط أمامنا في وحدته الأصلية التي لا تقبل التجزئة والانفكاك . ولعل هذه الوحدة هي ما رام الشيخ الجسر أن يشبها في مؤلفه الضخم ، فإذا بالمقبول الإنسانية النيرة تتلاقى عبر تعابير مختلفة عن الحقيقة المطلقة .

وبعد أن يفرغ المؤلف من استعراضه للفكر الإنساني عبر مراحل التاريخ الطويلة ، ينصرف لما جاء في القرآن من البراهين الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته واضعا شروطا ثلاثة للدخول إلى هذا البحث:

- ١ - جمع هذه الآيات كلها في صعيد واحد .
- ٢ - رغبة صادقة في درس هذه الآيات على ضوء العلم والفلسفة .
- ٣ - انطلاق من قيود التعصب الأعمى لأي رأي ديني أو فلسفي .

وقد دلت بوضعه الشرطين الآخرين على حرية في الرأي وإيمان بالمقل يعوزهما كثير من رجال الدين . ولا يلبث أن يأتي على هذه الآيات مبينا أنها تناولت كل طرق الاستدلال : دليل الحدوث ودليل الوجود ودليل العلة الكافية ودليل النظام ، نافية الرأي الشائع عند البعض من أن القرآن لم يترك شيئا من العلوم إلا وأشار إليه مؤكدا بحق « أن القرآن ليس بدائرة معارف علمية » وأن ما ورد فيه من آيات تشير إلى الحقائق الكونية إنما ورد بقصد التنبيه إلى ما في خلق العالم من انوار الإرادة والقدرة والعلم والحكمة والاتقان والاعتزاز ، الدالة على وجود الله ، النافية للتكوين بالصادفة .

وهذا الرأي يدل مرة أخرى على عمق تفكير المؤلف وقصده في أن يهز هذا عنيقا ما تراكم على الفكر العربي من قشور عطلته خلال فترة طويلة عن الحركة واقعدته عن مواكبة الفكر البشري . وأن هذا التصريح يصدر عن المفتي الجسر له دلالة الخاصة ، وهو جدير بالتأمل والتفكير

بالإضافة إلى ما يحويه كتابه من تفرير فسمني وصريح لبعض علماء الدين الجامدين ، ولا سيما في هذه المرحلة التي تحاول فيها بلادنا للحاق بركب العالم المتقدم ، نازعة من طريقها كل العوائق . ولا ينسى المؤلف بعد هذا مناقشة المذاهب القائمين بخلق العالم مصادفة ، مجيبا على آرائهم بما اثبتته العلم من حقائق عن ظواهر الكون النافية للمصادفة ومما يشكل اجابة على كثير من التساؤلات التي تشغل فكر الاجيال الصاعدة .

وبعد ، فلقد عقد في باريس في اوائل هذا العام مؤتمر اشارت إليه جريدة « لوند » في اعدادها المتتالية ضمن اسبوع للفكر الماركسي اشترك فيه العديد من رجال الكنيسة وعلماء الطبيعة والفكرين العلمانيين وتبدلت فيه الآراء المختلفة والمتناقضة في موضوع البحث الذي دار حول « المادية » ، واعتقد انه لو اتبحت الفرصة للعلامة الجسر ليبدلي بدلوه في ذلك المؤتمر على ضوء كتابه لحدث زاية دويا فكريا هائلا في كل الاوساط المهتمة بهذه الابحاث الراقية التي كانت ولا تزال محسطة تدقيق الفكر الإنساني .

وإذا كان لا بد من ابداء ملاحظة اخيرة حول « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » فهي خلوها من ذكر المصادر التي اعتمدها المؤلف للاحاطة بالموضوع مما يشكل نقصا بالإمكان تلافيه في الطبقات القادمة ، الامر الذي لا يخلو من الفائدة لمن يود الرجوع إلى امهات المصادر .

والرجاء كل الرجاء ان لا يكون هذا الكتاب التحفة الوحيدة التي يطالع بها المؤلف على الفكر العربي ، وان يلحقها بروائع كثيرة يتجلى فيها فكره النير وعقله الثاقب وعلمه الواسع .

طارق زيادة

طرابلس

صدر حديثا

# حكاية من إفريقيا

مجموعة شعرية جديدة يعود بها الشاعر المبدع

محمد الفيتوري

إلى قرائه الكثيرين بعد غياب بضعة أعوام

نكهة جديدة في أسلوب متطور

منشورات دار الإبداع

التمن ليرتان لبنانيتين